﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ١٧ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ١٨﴾ [الزّخرف: 17 - 18]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

دوامُ التَّوبيخِ والـلَّـوم بما يُـناسِـبُ كُـفرَ القَوم

لمّا أنكرَ المولى عليهم اتِّخاذَهُ للبناتِ وإخلاصَهُم بالذُّكور والبنين؛ زادَ النَّظمُ في الإنكارِ والتَّوبيخِ؛ إذ نسبوا لله ما يَكرهونَ وِلادتَهُ لهُم مِنَ البنات، فلو افترضنا أنَّ لله تعالى ولدًا، فالأليقُ أنْ يكونَ ذكَرًا لا أُنثى؛ لأنَّهم يَأنَفونَ منهُنَّ لضَعْفِهِنَّ، وأوضحَ وجهَ الضَّعفِ بأنَّها تُربَّى على الزّينةِ؛ كنايةً عن الضَّعفِ والنُّقصانِ، وأنَّها عند الجِدال لا تُقيمُ الحُجَّةَ والبُرهان.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بُشِّرَ﴾: (بشر) أصلٌ واحِدٌ يدلُّ على ظُهور الشَّيءِ مَعَ حُسْنٍ وجَمالٍ، ويُقالُ: بَشَّرْتُ فُلانًا أُبَشِّرُهُ تَبشيرًا، وذَلِكَ يَكونُ بِالخَيرِ، ورُبَّما حُمِلَ عَلَيهِ غَيرُهُ مِنَ الشَّرِّ، وأظُنُّ ذَلِكَ جِنْسًا مِنَ التَّبكيتِ، فَأمّا إذا أُطلِقَ الكَلامُ إطلاقًا؛ فالبِشارَةُ بِالخَيرِ، والنِّذارَةُ بِغَيْرِهِ[1]، والبِشارةُ: ما بُشِّرْتَ به، والبُشارة: حقُّ ما يُعطى على ذلك، البُشرى: الاسمُ، والبَشارةُ: الجَمالُ، ويقالُ: بشَّرتُهُ بمولودٍ، فأبشرَ إبشارًا، أي: سُرَّ[2]، والبِشْرُ الطَّلاقَةُ، والتَّبْشيرُ في عُرْفِ اللُّغَة مُختصٌّ بالخَبَرِ الَّذي يُفيدُ السُّرورَ، إلّا أنَّه بِحَسَبِ أصْلِ اللُّغَةِ عبارةٌ عَن الخَبَرِ الَّذي يُؤَثِّر في البَشَرةِ تَغَيُّرًا، وهذا يكونُ للحُزْن أيضًا، فوجَبَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بشر).
(2) الخليل، العين، والجوهري، الصحاح: (بشر).

أن يكـونَ لفـظُ التَّبْشيرِ حَقـيقَةً في القِسمَين[1]، والمرادُ بهِ في الآيةِ: التَّبشيرُ بقَصْدِ التَّهكُّمِ والاستخفافِ.

2) ﴿ضَرَبَ﴾: أصلٌ واحِدٌ، ثُمَّ يُستَعارُ، ويُحمَلُ عَلَيهِ[2]، والضَّرْبُ يقَعُ على جميع الأعمالِ[3]، والضَّرْبُ: مصدرُ ضَرَبْتُه ضَرْبًا، وضربْتُ في الأرض: أبتغي الخيرَ من الرِّزق[4]، وضَرَبَ اللّهُ مثلًا، أي: وصَفَ، وبيَّنَ[5]، ومِن المجاز: (الضَّرْبُ) بالفَتْح هو المِثْلُ والشَّبيهُ، وجَمْعُه ضُروبٌ، وهَذِه الأشياءُ عَلى ضَرْبٍ واحِدٍ، أي: عَلى مِثالٍ، وضَرْبُ المَثَلِ: إيرادُه ليُتَمَثَّل به، ويُتَصَوَّر ما أرادَ المُتَكَلِّمُ بَيانَهُ لِلمُخاطَب، يُقالُ: ضَرَب الشَّيءَ مَثَلًا، وضَرَبَ به، وتَمَثَّلَه، وتَمَثَّلَ به، ثُمَّ قالَ: وهَذا مَعْنى قَوْلِ بَعْضِهِم: ضَرْبُ المَثَلِ: اعتِبارُ الشَّيءِ بِالشَّيءِ وتَمثيلُه بِهِ[6]، والمرادُ به في الآيةِ: الجَعْلُ والصُّنْعُ.

3) ﴿كَظِيمٌ﴾: أصلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعنًى واحِدٍ، وهو الإمساكُ والجُمَعُ لِلشَّيءِ، مِن ذَلِكَ الكَظْمُ: اجْتِراعُ الغَيظِ والإمساكُ عَن إبدائِه، وكَأَنَّهُ يَجْمَعُهُ الكاظِمُ في جَوْفِهِ[7]، تقولُ: أرَى الإبلَ كَظومًا لا تجترُّ، وقومٌ كُظَّمٌ، أي: ساكتونَ[8]، وهو مَجازٌ مأخوذٌ من كَظَمَ البَعيرُ الجِرَّة، وكَظَم البابَ يَكْظِمه كَظْمًا: قامَ عَليه، وأغْلَقَه بِنَفْسِه أو بغَير نَفسِه، وكَظَمَ البَعيرُ كُظومًا؛ إذا أمسَكَ عَنِ الجِرَّةِ، وقيل: رَدَّدَها في حَلْقِه، والجِرَّةُ: ما يُخرجه مِنْ كَرِشِه، فَيَجْتَرُّ، ومن المَجازِ: رَجُلٌ كَظيمٌ ومَكْظومٌ، أي: مَكْروبٌ قد أخَذَ الغَمُّ بكَظَمِه، أي: نَفَسِه، ومِنْه قَولُه تَعالى: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨﴾ [النحل: 58][9]، والمرادُ بِهِ في الآيةِ: المُمْسِكُ عَنِ الكَلامِ كربًا وحُزنًا.

4) ﴿يُنَشَّؤُاْ﴾: النَّشْأُ: أحْداثُ النّاسِ، يُقالُ للواحِدِ أيضًا: هو نَشْأٌ سَوْءٍ، والنّاشئُ الشابُّ، يُقال: فَتًى ناشئٌ، والفِعْلُ نَشَأَ يَنْشَأُ نَشْأً ونَشْأةً ونشاءَةً، وأنْشَأهُ اللّه: خَلَقَهُ، ونَشَأتُ في بني

(1) الزّبيدي، تاج العروس: (بشر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضرب).
(3) الخليل، العين: (ضرب).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللغة: (ضرب).
(5) الجوهري، الصّحاح: (ضرب).
(6) الزّبيدي، تاج العروس: (ضرب).
(7) الخليل، العين: (كظم).
(8) الجوهري، الصّحاح: (كظم).
(9) الزّبيدي، تاج العروس: (كظم).

فلانٍ نَشْأً ونُشوءًا؛ إذا شَبَبْتُ فيهم، ونُشِّئَ وأُنْشِئَ بمعنًى[1]، والنّاشئُ: فويْقَ المُحْتَلِم، وقيل: هو (الغُلامُ والجاريةُ)، وقد (جاوزا حَدَّ الصَّغَرِ)، وكَذَلِكَ الأُنْثى، والنَّشَأُ قد ارتفَعْنَ عَن حَدِّ الصِّبا إلى الإدراكِ، أو قَرُبْنَ مِنْهُ[2].

5) ﴿ٱلْحِلْيَةِ﴾: الحَلْيُ: كلُّ حِلْيةٍ حلَّيت به امرأةً أو سَيْفًا أو نحوهُ، والجميعُ: حُلِيٌّ، وحَلِيَتِ المرأةُ، أي: لَبِسَتْهُ، والحُلِيُّ للمرأةِ وما سِواها، فلا يقالُ إلّا حِلْيَةٌ للسَّيفِ ونحوِه، والحِلْيةُ: تَحْلِيَتُك وجهَ الرَّجلِ؛ إذا وصفتَهُ[3]، والجميع حُلِيٌّ، قالَ اللّه: ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ [الأعراف: 148]، وحِلْيةُ السَّيفِ جمعُها حِلًى، مثلُ لِحْية ولِحًى، ورُبَّما ضُمَّ، وحِليةُ الرَّجُلِ: صِفَتُهُ، وحَلَيْتُ المرأةَ أحْليها حَلْيًا وحَلَوْتُها؛ إذا جعلتَ لها حُليًّا[4]، والمرادُ به في الآية: ما تتحلَّى به المرأةُ وتتزيَّنُ.

6) ﴿ٱلْخِصَامِ﴾: أصلانِ: أحَدُهُما: المُنازَعَةُ، والثّاني: جانِبُ وِعاءٍ، فالأوَّلُ: الخَصْمُ الَّذي يُخاصِمُ، والذَّكَرُ والأُنْثَى فيهِ سَواءٌ، والخِصامُ: مَصْدَرُ خاصَمْتُهُ مُخاصَمَةً وخِصامًا، والأصلُ الثّاني: الخُصمُ جانِبُ العِدْلِ الَّذي فيهِ العُروةُ[5]، والخُصومةُ: الاسمُ من التَّخاصُم والاختصام، يقال: اختصمَ القومُ، وتخاصَموا، وخاصمَ فلانٌ فلانًا مُخاصَمَةً وخِصامًا[6]، والخُصومَة: الجَدَلُ، خاصمَهُ خصامًا غَلبَهُ بالحُجَّة، واختصمَ القومُ، وتخاصَموا[7]، والمرادُ به في الآيةِ إمّا الجِدالُ أوِ القِتال.

7) ﴿مُبِينٍ﴾: (البَيْنُ) أصلٌ واحِدٌ، وهو بُعْدُ الشَّيءِ وانكِشافُهُ، وبانَ الشَّيءُ وأبانَ؛ إذا اتَّضَحَ، وانكَشَفَ[8]، وبانَ الشَّيءُ وأبانَ وتَبَيَّنَ وبَيَّنَ واستبانَ، والبَيِّنُ من الرِّجالِ الفَصيحُ[9]، والبيانُ: الفصاحةُ واللَّسنُ، وفلان أبْيَنُ من فلانٍ، أي: أفصحُ منهُ وأوضحُ كلامًا، والبيانُ:

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (نشأ).
(2) الزّبيدي، تاج العروس: (نشأ).
(3) الخليل، العين: (حلي).
(4) الجوهري، الصحاح: (حلي).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خصم).
(6) الخليل، العين: (خصم).
(7) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (خصم).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بين).
(9) الخليل، العين: (بين).

ما يتبيَّنُ به الشَّيءُ من الدَّلالةِ وغيرها[1]، والمرادُ به في الآية: الإيضاحُ عن المقصَدِ والإفهامُ عندَ الحديث بالحُجَّةِ والبُرهان أو تحقيقُ النَّصْر.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

كـمـالُ الاجـتـراءِ بنسبةِ ما يأنَفُ مِنه السُّفهاء

المعنى: أنَّه إذا أخبرَ أحدٌ المُشركينَ بولادة ما؛ جعلَهُ مَثَلًا للرَّحمن، وشبيهًا له تعالى؛ إذِ الولدُ لا بدَّ أن يُجانِسَ الوالدَ ويُماثِلَه، وصارَ وجْهُهُ شديدَ السَّواد من سوءِ ما بُشِّرَ به، وهو حَزينٌ، فكيفَ تأنفونَ أنتُم منَ البنات، وتَنسِبونَها إلى اللهِ ﷻ؟ أيَجترئونَ، ويبلغونَ الغايةَ في إساءةِ الأدب، ويجعلونَ لله تعالى الأُنثى الَّتي تنشأُ، وتُربَّى، وتكبرُ في الحِلْية والزِّينة لنَقْصِها؛ إذ لو كَمُلَت في نفسِها؛ لما تكمَّلتْ بالزِّينة، وهي أيضًا لا تقدرُ على إقامةِ الحُجَّة عند الخِصامِ والجدالِ، الَّذي لا يكادُ يخلو الإنسانُ منه في العادةِ، وغير قادرٍ على تقريرِ دَعواه، وإقامةِ حُجَّتِه، كما يقدرُ الرَّجلُ عليه، لنُقصانِ عقلِه وضَعْفِ رأيِه، وهذا بحسَبِ الغالب، وإلّا فمن الإناثِ مَن هو أهلُ الفصاحةِ، والفاضِلاتُ على الرِّجال[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ الواوِ في: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ﴾:

التَّقييدُ والبيانُ تصويرٌ لشناعةِ المـنـسـوبِ للرَّحمن

تحتملُ (الواوُ) في قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ الدَّلالةَ على الحالِ أو على الاعتراض[3] أو على الاستئنافِ، أمّا دلالتُها على الحال؛ فلأنَّ النَّظمَ لمّا أنكرَ اتِّخاذَ اللهِ تعالى الملائكةَ بناتٍ، وأنَّه أصفاهم بالبنينَ؛ قيَّدَ ذلك الإنكارَ، وعلَّله بحالة اسوداد الوجهِ عندَ التَّبشيرِ والإخبارِ بإنجابِهم البنات، وتكونُ الجملةُ

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (بين).
(2) الهرري، حدائق الرّوح والرّيحان: 26/ 204 - 2 - 5.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 179.

حالًا من ضمير المخاطَب (أصفاكم)؛ لبيانِ شناعةِ مقولتِهم؛ إذ كيف يتَّخذُ اللّه مخلوقًا يجلبُ اسوادَ الوجهِ والحُزن والكربِ عندَ حصولِهِ لهم، فقد: "كانوا مِمَّن يَكرَهُ البَنات، ويُحَقِّرُهُنَّ، فَنِسبَتُها إلَى اللّه مُفضٍ إلى الاستِخفافِ بِجانِبِ الإلهيَّة"[1]، وهذا الرَّدُّ بناءً على مُتعارَفِهم من هَوْنِ أمرِ البنات مقابلَ نعمةِ البنين، وقد تكونُ (الواوُ) اعتراضيَّةً بينَ الاستفهامينِ الإنكاريَّين؛ لبيان أنَّ ما نسبوه للّه تعالى ممّا يخجلونَ منه، ويشعرونَ بالكَرْبِ الشَّديدِ عندَ نزولِهِ بهم، فيتَّضحُ وجهُ الإنكارِ، ويتبيَّنُ، وأمّا دلالتُها على الاستئنافِ؛ فلأنَّ مدخولَها يفيدُ تقريرَ حُكمِ ما قبلَه[2].

دلالةُ (إذا) في: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ﴾:

عبَّر النَّظمُ الكريمُ بالظَّرف المتضمِّنِ معنى الشَّرط في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ وقوعِ القول منهم على سبيلِ الجزمِ بالحصول؛ لبيان أنَّ ذلك الَّذي ينتابُهم عندَ البُشرى بالبنتِ واقعٌ لا سبيلَ للتَّردُّد فيه، فكيف يَنسبونهُ للّه تعالى، وهو محلُّ الكمالاتِ؟

تحقُّقُ الوقوعِ دالٌّ على صدورٍ مُؤكَّدٍ

دلالةُ الفعلِ المَجهول:

عبَّرَ النَّظمُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا﴾ بالفعلِ المبنيِّ للمجهول؛ للدَّلالةِ على أهمّيَّةِ الحدث، وهو التَّبشيرُ دونَ الفاعلِ له، أي: "من أيِّ مُبشِّرٍ كانَ"[3]؛ إذ مناطُ الاهتمامِ في الإخبارِ حصولُ التَّبشيرِ لهم وموقفُهم منه، فأيُّ فاعلٍ للتَّبشير لا يؤدّي إلى تغييرِ موقفِهم من الحدثِ الَّذي يُصيبُهم بالكآبة والحُزنِ الشَّديدين.

عدمُ تغيُّرِ موقفِ المفعولِ يَقتضي حذفَ الفاعلِ

دلالةُ نائبِ الفاعلِ:

عبَّرَ النَّظمُ الكريم عن نائبِ الفاعل بلفظِ (الأحد) في قولِهِ تعالى:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 179.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 42.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 401.

التَّركيزُ على الحدثِ يَستلزمُ التَّعميمَ لما وقعَ عليهِ

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم﴾؛ للدَّلالةِ على أهمِّيَّةِ الحدث، وهو التَّبشيرُ دونَ خصوصِ مَن وقعَ عليه ذلك؛ إذ مناطُ التَّركيزِ في الإخبارِ حصولُ البِشارةِ لهم وموقفُهم منها، فأيُّ مَن وقعتْ عليه البِشارةُ لا يؤدّي إلى تغييرٍ في حقيقةِ الإخبارِ بذلك، وبذلك يتناسَبُ حذْفُ الفاعل معَ تعميمِ نائبِهِ في تحقيقِ دلالةِ العمومِ المُقتضيةِ اشتراكُهم في التَّشاؤُمِ من البنات، ومعَ ذلك فقد قاموا جميعًا بنِسبَتِها للّه تعالى.

دلالةُ فعلِ (التَّبشير):

التَّهكُّمُ والاستخفافُ بيانٌ لفداحةِ إشراكِهم باللّه تعالى

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ عن الإبلاغِ بإنجابِهم للبناتِ بفعلِ التَّبشير في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم﴾؛ للدَّلالةِ على التَّهكُّمِ بهم والاستخفافِ بعقولِهم؛ "لأنَّ البِشارَةَ إعْلامٌ بِحُصولِ أمْرٍ مُسَرٍّ"[1]، فهنالك استعارةٌ تصريحيَّةٌ تبعيَّةٌ؛ إذ شُبِّهَ فعلُ التَّبليغِ المَشوبِ بالحزنِ بفعلِ التَّبشيرِ المشوبِ بحصولِ الفَرحةِ لهم تشبيهَ الضِّدِّ بالضِّدِّ؛ تهكُّمًا بما كانوا ينفرونَ منهُ، واستخفافًا بعقولِهم الَّتي لم تساوِ بينَ البنينَ والبنات، والغرضُ من الاستعارةِ التَّهكّميَّةِ تنزيلُ غيرِ المبشَّرِ به منزلةَ المبشَّرِ به، ومع ذلك يَضجَرونَ مِن البنات، وينزعجونَ منهُنَّ لبيانِ شدَّةِ فداحةِ إشراكِهم، ورأى البقاعيُّ أنَّه أطلقَ التَّبشيرَ؛ تنبيهًا على أنَّه ممّا يَسُرُّ كالذَّكَر سواء في أنَّ كُلًّا منهما ولدٌ، وتارةً يسُرُّ، وتارةً يضُرُّ، وهو نعمةٌ من الخالق؛ لأنَّه خيرٌ من العُقْمِ"[2].

دلالةُ الالتفاتِ في: ﴿أَحَدُهُم﴾:

الإعراضُ عن الظّالمينَ تقبيحٌ مُشين

التفتَ النَّظمُ الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم﴾، ولم يقل: (أحدكم) المناسب لـ﴿وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾؛ "للإيذانِ باقتضاءِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 180.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 17/ 401.

ذكرِ قبائِحِهم أنْ يُعرِضَ عنهم، ويَحكي لغيرِهم؛ تعجُّبًا منها"[1]، و"لتأكيدِ الإجرامِ وتشديدِ التَّوبيخ"[2].

دلالةُ (ما) في: ﴿بِمَا ضَرَبَ﴾:

الإبـهـامُ ملائـمٌ لقبح الاتِّهام

عبَّرَ النَّظمُ بـ(ما) الموصولةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾؛ للدَّلالةِ على الجنسِ الَّذي ادُّعي أنَّه جزءٌ للّه تعالى، وذلك الجنسُ هو جنسُ الأُنثى دونَ الذَّكَر، وإنَّما عبَّرَ عن الأنثى بـ(ما) المبهمةِ دونَ (مَن) أوِ (الأنثى)؛ للدَّلالةِ على شناعةِ ما نسبوهُ للّه تعالى، حتى إنَّه لا يُخبَرُ عنه إلّا بالمُبهم؛ تصويرًا لشناعتِهِ وشدَّةِ قُبحِه، وكانَ التَّعبيرُ بالموصول للإشارةِ إلى أثَرِ الصِّلةِ في تعليلِ مآلِ التَّبشير بالبنتِ من اسوادِ الوجْهِ وكَظْمِ الغيظِ.

دلالةُ لفظِ ﴿ضَرَبَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

نسبتُهُم الإناثَ تعدٍّ بلا تروٍّ

عبَّرَ النَّظمُ بالفعلِ الماضي ﴿ضَرَبَ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾؛ للدَّلالةِ على الجَعْلِ والصُّنْعِ "المُتعدّي إلى مفعولين، حُذِفَ الأوَّلُ منهما"[3] العائدُ على الموصولِ، والتَّقديرُ: (بما جعلَهُ للرَّحمنِ مَثَلًا)، "وعبَّر به دونَ أنْ يقولَ: (بما جعلَ) موضِعَ ﴿بِمَا ضَرَبَ﴾؛ تعليمًا للأدبِ في حقِّه سبحانه في هذه السّورة، التي مقصودُها العلمُ الموجِبُ للأدبِ، وزيادةً في تقبيح كُفرهم"[4]، فقد نجمَ من نِسبتِهم الإناثَ للّه تعالى جعْلٌ وصنْعٌ، أي: جَعَلوا، وصَنَعوا للّه تعالى شبيهًا من خلقِه، وإنَّما عبَّرَ عنهما بالضَّربِ لما فيه من التَّعدّي والمُجاوزة، ففي الفعل استعارةٌ تصريحيَّةٌ تبعيَّةٌ، كما دلَّت صيغةُ الماضي على صدورِ ذلك منهم على سبيلِ التَّحقُّقِ والتَّيقُّنِ.

(1) الهرري، حدائق الرّوح والرّيحان: 26/ 204.
(2) ابن عجيبة، البحر المديد: 5/ 239.
(3) الهرري، حدائق الرّوح والرّيحان: 26/ 204.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 401.

دلالةُ (المَثَل):

المُـمـاثـلـةُ مِـن سِماتِ الحَوادِثِ

عبَّرَ النَّظمُ عن المجعولِ للّه تعالى بـ(المَثَل) في قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾؛ لأنَّه صارَ بنِسبتِه للّه تعالى شَبيهًا ومَثيلًا له في الحقيقةِ والكَمالات، كما هو شأنُ المخلوقاتِ الَّتي لها مثلٌ وشبيهٌ؛ "إذ الولدُ لا بدَّ أنْ يُماثِلَ الوالدَ"[1]، فتكون هنالك إشارةٌ إلى أنَّ ذلك الجعلَ منهم مُؤدٍّ إلى مماثلةِ المنسوبِ للمَنسوبِ إليه، وذلك مستلزمٌ الشِّركةَ والاحتياجَ والمُشابهةَ للحوادث، ونبَّه البقاعيُّ إلى أنَّ علَّةَ التَّعبيرِ بالمثل؛ لأنَّه: "لمّا كانت نسبةُ الولد إليه سبحانَه ممّا لا يَنبغي أنْ يخطرَ بالبالِ على حالٍ من الأحوال، كانت نسبتُهُ على سبيل الحقيقةِ أبعدَ منها على طريقِ المثالِ بأنْ يقالَ: (الملائكةُ عندَهُ في العزَّةِ بمنزلةِ البناتِ عندَ الأب)؛ قال مُرشِدًا إلى أنَّ ما قالوه لو كانَ على قصدِ التَّمثيلِ في غايةِ القباحةِ فضلًا عن أن يكونَ على التَّحقيقِ"[2].

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظِ (الرَّحمن):

عـلَّـةُ تـنـزُّهِـهِ عـن الأُنـثـى أنَّـه الرَّحيمُ الرَّحمن

آثرَ النَّظمُ إيرادَ الاسمِ الجليل (الرَّحمن) في قولِه تعالى: ﴿بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ دونَ غيره من الأسماءِ الحُسنى؛ لأنَّهم كانوا يجهلونَ هذا الاسم للّه تعالى أوَّلًا، وأنَّه لكونِه صفةً مشبَّهةً دالٌّ على المُلازَمة للرَّحمةِ والدَّوامِ عليها، فيكونُ تصويرًا لشناعةِ ما أقدَموا عليه مِن نسبةٍ، فهو الرَّحمنُ على ما يقولونَهُ، ويَنسبونَه إليه ثانيًا، كما أنَّ نسبةَ الأنثى إليه الَّتي هي عنوانُ الرَّحمةِ وسببٌ لرحمةِ الأبِ ورقَّته لا يحتاجُ لها المَولى تعالى؛ لأنَّه الرَّحمنُ، قال البقاعيُّ: "وعدلَ عن الوصفِ بالرُّبوبيَّةِ - لأنَّه قد يُدَّعى المُشاركةُ في مطلقِ التَّربيةِ - إلى الوصفِ الدالِّ على عمومِ الرَّحمة، فتأمُّلُهُ بمجرَّدِهِ كافٍ في

(1) الحنبلي، فتح الرحمن: 6/ 210.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 401.

الزَّجرِ عن سوءِ قولِهم، فقال: ﴿لِلرَّحۡمَٰنِ﴾، أي: الَّذي لا نعمةَ على شيءٍ من الخلق إلّا وهي منهُ[1].

دلالةُ ﴿ظَلَّ﴾ في: ﴿ظَلَّ وَجۡهُهُۥ﴾:

عبَّرَ النَّظمُ بالفعل ﴿ظَلَّ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا﴾؛ للدَّلالةِ على الصَّيرورةِ مع الاستمرارِ أيضًا؛ بخلافِ الفعلِ (صار) الدّالِّ على مُجرَّدِ الصَّيرورة؛ تصويرًا لاستمرارِ سَوادِ وجوههم وشدَّةِ كربِهم وحُزنهم، حتى إنَّهم لا ينفكّون عنه زمانًا طويلًا؛ بيانًا لمدى جَهلِهم بقيمةِ البنات، وتهكُّمًا بهم في نسبتِهم ما يخجلونَ منه على سبيلِ الدَّوامِ للّه تعالى، وهو أهلُ الكَمالاتِ كلِّها، كما أنَّ الفعلَ ﴿ظَلَّ﴾ يدلُّ على الصَّيرورةِ والاستمرارِ في النَّهار؛ ولذا قال البيضاويُّ: "لأنَّ أكثرَ الوضْعِ يتَّفقُ باللَّيلِ، فيظلُّ نهارُهُ مُعتمًّا مُسودَّ الوجهِ من الكآبةِ والحَياءِ من النّاس"[2]؛ إذ "تغيُّرُ الوجهِ لا سيَّما بالسَّواد لا يُدرَكُ حقَّ الإدراك إلّا بالنَّهار؛ عبَّر بما هو حقيقةٌ في الدَّوام نهارًا، وإن كان المرادُ هنا مطلقَ الدَّوام"[3].

استمرارُ الحُزنِ من سوءِ الفَهْمِ

دلالةُ الكنايةِ في: ﴿ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا﴾:

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بأسلوبِ الكنايةِ في قولِهِ تعالى: ﴿ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا﴾؛ إذ ذكرَ اسوادَ الوجه، وهو ملزومٌ للازمٍ هو الخزيُ والخجلُ الاجتماعيُّ الشَّديدُ الَّذي ينتابُهُم من إنجابِ البنات، فـ:"اسوادُ الوجهِ كنايةٌ عن الاغتمامِ والتَّخجيل كما أنَّ بياضَ الوجهِ وإشراقَه كنايةٌ عن الفرحِ والسُّرور"[4]، والكنايةُ تجوِّزُ إرادةَ المعنى الأصليِّ، أي: "شديدَ السّوادِ من سوءِ ما بُشِّرَ به، ويحتملُ أن يكونَ

إنجابُ البناتِ مُثيرٌ للشُّبُهات باعتبارِ العوائدِ الفاسدة

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 401.
(2) البيضاوي، أنوار التّنزيل: 2/ 218.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 17/ 402.
(4) الشّربيني، السّراج المنير: 2/ 238.

اسوداُّ الوجهِ عبارةً عن الكراهةِ"[1]، فهي كنايةٌ عن صفةٍ تدلُّ على قيمٍ اجتماعيَّةٍ فاسدةٍ، تنظرُ للبنات على أنَّها جالبةٌ لسوادِ الوجهِ النّاجمِ عن العارِ والخِزْيِ والنَّدامةِ، فالآيةُ انتقادٌ لذلك الموقفِ الاجتماعيِّ الفاسدِ، واستخفافٌ بعقولِهم في نسبةِ ما يُشعِرُهم بالخَيبةِ والنَّدامةِ والخَجَلِ للّه تعالى.

دلالةُ جوابِ الشَّرطِ ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ﴾:

تعلُّقُ الخزيِ والعارِ بالخبرِ غيرِ السّارِّ

وقعَ قولُهُ تعالى: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ جوابًا لشرطٍ غيرِ جازمٍ؛ للدَّلالةِ على أنَّ ذلك الشُّعورَ بالخيبةِ مقترنٌ بوقتِ التَّبشيرِ، وكأنَّ بينَ التَّبشيرِ والشُّعورِ بالخجلِ والخيبةِ تزامنًا لا ينفكُّ، بل يتعلَّقُ بعضُهما بالآخَرِ تعلُّقًا ظاهرًا، فهُم يترقَّبونَ وقتَ البِشارةِ؛ ليعقبَهُ الشُّعور بكمالِ الخَيبةِ على سبيلِ الدَّوامِ.

دلالةُ استعمالِ لفظِ ﴿مُسْوَدًّا﴾ دونَ (أسْودَ):

كمالُ السَّوادِ دالٌّ على فسادِ الاعتقادِ

آثرَ النَّظمُ الكريمُ صيغةَ اسمِ المفعولِ على صيغةِ اسمِ التَّفضيلِ في قولِهِ تعالى: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾؛ للدَّلالة على كمالِ الاسوداد؛ إذ المسودُّ يفيدُ كمالَ السّوادِ للمتَّصفِ به، بخلافِ الأسودِ فإنَّه يدلُّ على كونِ السَّوادِ أكثرَ من الآخر، وإنْ كان في نفسِهِ ليس قاتمًا، كما أفادَ اختيارُ اللَّونِ الأسود دونَ اللَّونِ الأحمر - الَّذي يُشعرُ بالخجل أيضًا - أنَّ السَّواد هو شعورٌ بالخجلِ معَ العارِ والخزيِ والاحتقانِ للدَّمِ في العُروق من شدَّةِ الغضَب والانزعاج.

دلالةُ الجملةِ الاسميَّةِ: ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾:

الشُّعورُ بالعارِ يُخالطُهُ الغَيظُ العميق

عبَّر النَّظمُ الكريمُ بالجملةِ الاسميَّة الحاليَّةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾؛ للدَّلالةِ على ثبوتِ وصفِ الكَظْمِ للوجهِ مع تقييدِ الوجهِ بشدَّةِ الغَيظِ المَكظوم، فلم يكنِ الشُّعورُ بالعارِ المُنبئ عنهُ لونُ

(1) الهرري، حدائق الرّوح والرّيحان: 26/ 204.

الاسوادِ، بل خالطَهُ الشُّعورُ بالحُزنِ النَّفسيِّ العميقِ، حتى إنَّ غيظَهُ مكظومٌ محبوسٌ عن الانطلاق، وذلك أشدُّ أنواعِ الغيظِ وأصعبُ حالاتِهِ؛ إذ يحسُّ صاحبُهُ بالغيظِ ولا يستطيعُ الإفصاحَ عنه؛ خجَلًا من معرفةِ أهلِ النّادي بمُصيبتِهِ الَّتي حلَّتْ على رأسِه، والضَّميرُ في الجملةِ الاسميَّة راجعٌ إلى الوجهِ الموصوفِ بالاسوادِ حتى يتجسَّدَ السَّوادُ الخارجيُّ معَ الغيظِ الدّاخليِّ.

دلالةُ لفظِ ﴿كَظِيمٌ﴾:

منْعُ الغيظِ منَ الانفلاتِ تصويرٌ لشدَّةِ المأساةِ

عبَّر النَّظمُ الكريمُ بلفظ ﴿كَظِيمٌ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾؛ لما في الصّيغةِ (فعيل) القائمةِ مقامَ المفعولِ من مُبالغةٍ للغيظِ القائمِ في وجهِ ذلك السّامعِ للخبرِ غيرِ السّارِّ، فالكظمُ حبسٌ للغضَبِ من الانفجار، ولا يَستطيعُ التَّعبيرَ عن شدَّةِ كربِه، وذلك يُعطي احتقانًا للوجهِ فوقَ سَوادِه، وقال ابن عاشور: "هو المُمْسِكُ، أي: عَنِ الكَلامِ كربًا وحُزنًا"[1].

دلالةُ الخبرِ:

تشنيعُ موقفِ الظّالمين من نِعَمِ ربِّ العالمينَ

أخبرَ النَّظمُ الكريمُ عن موقفِ الظّالمينَ النّاسبينَ البناتِ للّه تعالى في قوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾؛ لبيانِ مدى ظُلمِهم والتَّعجيبِ من شناعةِ نِسبتهم جنسًا يخجَلونَ منه، ويكرهونَهُ للّه تعالى، فالمرادُ: "أنَّهم يكرهونَ البناتِ، فكيفَ ينسبونَها إلى اللّه؟"[2]، وليس المقصودُ موافقتَهم على ذلك الحُكم بتفضيلِ البنينَ على البنات، وإنَّما الغرضُ إلزامُ الخصمِ بقُبحِ ما يصدُرُ عنه جدلًا؛ حتَّى ينتبهَ لسوءِ فَهْمِه وصنيعِه، بل المقصودُ بعد ذلك التَّشنيعُ عليهم برفضِ نعمةٍ من نِعَمِ اللّهِ تعالى بمنحِهم البناتِ وعدمِ رِضاهُم بمرادِ اللّه تعالى واختيارِهِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 180.
(2) ابن جزي، التّسهيل لعلوم التّنزيل: 2/ 256.

دلالةُ الاستفهامِ في: ﴿أَوَمَن﴾:

تـكـرارُ الإنـكـارِ تشنيعٌ للشِّركِ البَوار

دلَّ الاستفهامُ في قولِهِ تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ﴾ على الإنكارِ للاتِّخاذِ المقدَّرِ في مدخولِ الاستفهام، قال الهرريُّ: "الهمزةُ فيه للاستفهامِ الإنكاريِّ الاستقباحيِّ داخلةٌ على مَحذوفٍ"[1]، أي: نُنكِرُ اتِّخاذَ اللهِ مَن يُنشَّأ في الحليةِ - وهُنَّ البناتُ - كما نُنكِرُ سابقًا اتِّخاذَهُ البناتِ وإصفاءَكُم بالبنينَ، والغرضُ من تكرارِ الإنكارِ زيادةُ التَّوبيخِ[2]، وبيانُ عدمِ اللّياقةِ في نِسبةِ ما يَأنَفونَ منهُ، ومَن يكونُ ضعيفًا في متعارَفِهم أنْ يكونَ مَنسوبًا للّه تعالى بالبنوَّةِ أو بالتَّبنّي.

دلالةُ العطفِ:

الإلـهُ الكـاملُ لا يُنسَبُ له إلّا كلُّ كمالٍ

عطفَ النَّظمُ الكريمُ جملةَ الاستفهامِ الإنكاريِّ في قولِهِ تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ﴾ على جملةِ الاستفهامِ الإنكاريِّ في قولِهِ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ﴾، والتَّقدير: (بلْ أتَّخَذَ ممّا يخلقُ بناتٍ؟ وأتَّخذ مَن يُنشَّأ؟)، فيكونُ (مَنْ ينشأ) في الآية مفعولًا به لفعلٍ محذوفٍ[3]، دلَّ عليه المذكور "(جعلوا)، أي: أو جعلوا مَنْ شأنُهُ أنْ يُربَّى في الزّينةِ، وهو عاجزٌ عن أن يتولَّى أمرَهُ بنفسِه، فالهمزةُ لإنكارِ الواقعِ واستقباحِه، وقد جوِّزَ انتصابُها بمضمرٍ معطوفٍ على ﴿ٱتَّخَذَ﴾، فالهمزةُ حينئذٍ لإنكارِ الوقوعِ واستبعادِه[4]، ويكونُ بين الجملتَينِ تناسُبٌ في الإنشاءِ، وهو من مُحسِّناتِ الوصلِ، والعطفُ وإنْ كانَ دالًّا على المغايرةِ إلّا أنَّه تتلاقى الجملتانِ في الإنكار، لكنَّ الإنكارَ الأوَّلَ في اتِّخاذِ اللهِ البناتِ خالصًا، والثاني في اتِّخاذِ الجنسِ الضَّعيفِ الَّذي يتربَّى على الدَّلال.

(1) الهرري، حدائق الرّوح الرّيحان: 26/ 205.
(2) الحنبلي، فتح الرحمن: 6/ 211.
(3) السّمين، الدرّ المصون: 9/ 578.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 42.

دلالةُ البدليَّةِ:

إبدالُ الموصولِ منَ الظّاهرِ تأشيرٌ لعلَّةِ إنكارِهِ

يجوزُ أنْ يُعرَبَ الاسمُ الموصول (مَنْ) في قولِهِ تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾ بدلًا من ﴿بَنَاتِ﴾ في قوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ بدلَ كلٍّ مِن كلٍّ[1]، ويكونُ البدلُ تقريرًا للمعنى وتأكيدًا له، وإشارةً إلى علَّةِ إنكارِ اتِّخاذِهِ البناتِ، وهي التَّنشئةُ في الحليةِ التي هي عنوانُ الضَّعف.

دلالةُ بناءِ المجهولِ في قولِهِ: ﴿يُنَشَّؤُاْ﴾:

البناتُ مَخلوقاتٌ للزّينةِ والتَّحلّي

عبَّرَ النَّظمُ بالفعلِ المضارعِ المبنيِّ للمجهول ﴿يُنَشَّؤُاْ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ البنتَ لا تتزيَّنُ في أوَّلِ أوقاتِ وجودِها بذاتِها، بل يتولَّى الآخرونَ تنشئتَها على هذه الطَّريقة، وتحاطُ بصنوفِ الزّينة غيرَ مسؤولةٍ عن ذلك، والغرضُ بيانُ أنَّها مَظهَرُ الدَّلالِ والضَّعفِ من أوَّلِ أوقاتِ وجودِها، ثمَّ تستمرُّ على ذلك في باقي أيّامِ حياتِها، وعبَّرَ بالمضارعِ الدّالِّ على الاستمرارِ التَّجدُّديِّ من أجل بيان أنَّ تلك التَّنشئةَ ثابتةٌ لها على سبيلِ الاستمرارِ.

دلالةُ (التَّنشئةِ) مادَّةً وصيغةً:

تنشئةُ البناتِ على حُبِّ الزّينةِ وتجميلِ الشَّكل

عبَّرَ النَّظمُ بالفعلِ ﴿يُنَشَّؤُاْ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾، بمعنى: إحداثِ الشَّيءِ وتربيتِه، أي: يتربّى في الحليةِ والزّينة[2]؛ لما في (النَّشء) من دلالةٍ على أوَّلِ أوقاتِ وجودِ الشَّيء، فتكون البنتُ منذُ أوَّلِ أوقاتِ وجودِها ناشئةً على تزيينِ المظهَرِ والاعتناءِ بالشَّكلِ أكثرَ من المضمونِ بخلاف الابن، الَّذي ينشأ على تنميةِ عواملِ القوَّة الدّاخليَّة وتعديلِ المضمونِ دونَ الظّاهرِ والشَّكلِ الخارجيِّ، كما دلَّتْ صيغةُ (التفعيل) على أنَّ ذلك حاصلٌ لها على سبيلِ المبالغةِ والكَثرة، حتى يتحوَّلَ عندَها إلى شعارٍ تعتادُهُ، وتسيرُ عليه.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 181.
(2) السّمين، عمدة الحفاظ: 4/ 176.

دلالةُ التَّعديةِ بـ ﴿فِي﴾:

الحِليةُ مُحيطةٌ بالبناتِ إحاطةَ الظَّرفِ بالمَظروف

عدَّى النَّظمُ الكريمُ الفعلَ ﴿يُنَشَّؤُاْ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ﴾ بالحرفِ ﴿فِي﴾ دونَ (على)؛ للدَّلالة على أنَّ التَّنشئةَ المصاحبةَ للحِليةِ والمستعليةَ عليها مُحيطةٌ بها، وظرفٌ للنّاشئ على سبيل الاقترانِ، لا تفارقُه في حالٍ من الأحوال، وأنَّ البنت تُنشَّأ داخلَ الحِلية، وكأنَّ الحِلية محيطةٌ بها إحاطةَ الظَّرفِ بالمظروف لا تفارقُها من أوَّل أوقاتِ وجودِها إلى باقي أيّامِ حَياتِها.

دلالةُ الاستعارةِ في الحرفِ:

العنايةُ بالمظاهرِ على صعيدِ السَّرائر

استعارَ النَّظم الكريمُ الحرفَ ﴿فِي﴾ في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ﴾؛ للدَّلالة على معنى المُصاحبة أوِ الاستعلاء استعارةً تصريحيَّةً تبعيَّةً[1]؛ إذ الحليةُ تستعلي البنتَ، أو تصاحبُها في جميعِ أوقاتِ وُجودها؛ للدَّلالة على أنَّ مِن شدَّةِ المُصاحبةِ بينَها وبينَ الحلية تكون البنتُ ناشئةً فيها دون مجرَّدِ المُصاحبةِ والمُلابسةِ لها، قال القونوي: "في جَعْلِ الزّينةِ ظرفًا للتَّربيةِ مُبالَغَةٌ عظيمةٌ، ولفَرْطِ رغبتهنَّ في الزّينة كأنَّهنَّ مُحاطةٌ بالزّينةِ إحاطةَ المَظْروف بالظَّرْف"[2].

بلاغةُ الكنايةِ في: ﴿يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ﴾:

لا يليقُ بالضَّعيفِ المُعتنى بظاهرِهِ نسبتُهُ للمُحيطِ بالبَصائر

عبَّرَ النَّظمُ عن (البنات) بأسلوبِ الكناية في قولِهِ تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ﴾؛ إذ ذكرَ الملزومَ، وهي التَّنشئةُ في الحلية، وأرادَ اللّازم، وهي البناتُ، فهي كنايةٌ عن الموصوفِ، وإنَّما كنَّى عنهنَّ بذلك للدَّلالةِ على الضَّعف مع الاعتناءِ بالمظاهر، وأنَّ البنتَ مثلُ دُميةٍ يُجمَّلُ شكلُها؛ لتكونَ محطَّ الإعجابِ وإثارةِ الانتباه، فلا تصلُحُ لمواطنِ الدِّفاعِ في الحروبِ والمَعارك، وبتلك الكنايةِ يشيرُ النَّظمُ إلى تعاسةِ عُقولِهم في نسبتِهم المخلوقَ الضَّعيفَ المُعتنى بمظهرِهِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 181.

(2) حاشية القونويّ على تفسير البيضاوي: 17/ 297.

الخارجيِّ للّهِ تعالى، قال الطَّيبيُّ: "وفي العدولِ إلى هذه الألفاظِ منَ التَّصريحِ بذكرِ (البنات) إدماجٌ لمعنى ذمِّ التَّشبُّهِ بالنِّساء، وفي مفهومِ المُدمَجِ رمزٌ إلى التَّرغيبِ في التَّزيُّنِ بلباسِ التَّقوى، والاهتمامِ بعمارةِ الباطنِ، ورفضِ الالتفاتِ إلى الظّاهر[1].

دلالةُ ﴿ٱلْحِلْيَةِ﴾:

آلاتُ الزِّينةِ للرِّقَّةِ والجَمال

عبَّر النَّظمُ بلفظ ﴿ٱلْحِلْيَةِ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾؛ للدَّلالةِ على الزّينةِ وآلاتِ التَّجميل؛ إشارةً إلى أنَّ البنتَ تهتمُّ بأمورِ الزّينةِ وأدواتِ التَّجميل دونَ آلاتِ الحربِ والأسلحة، فيكونُ ذِكرُ ﴿ٱلْحِلْيَةِ﴾ مشيرًا لقَصرِ اهتمامِها على الآلاتِ الرَّقيقة بخلاف (الابن)، المهتمِّ بالآلاتِ الخَشنةِ القتاليَّة، فكيفَ يُنسَبْنَ للّه تعالى، وهُنَّ غيرُ قادراتٍ على الدِّفاعِ عن أنفُسِهِنَّ، والولد إنَّما يراد للدِّفاعِ عن أبيهِ أو في الأقلِّ عن نفسِهِ.

مَرجعُ الضَّميرِ (هوَ):

النِّساءُ شقائقُ الرِّجالِ

أرجعَ النَّظمُ الضَّميرَ (هوَ) في قولِهِ تعالى: ﴿وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ إلى (مَنْ) بقيدِ تنشئتِهِ في الحِلية، وإنَّما ذُكِّرَ الضَّميرُ والمُكنَّى عنه البنات؛ لمراعاةِ لفظِ (مَنْ) دونَ مَعناها[2]، ولعلَّ سرَّ اختيارِ الضَّميرِ مُذكَّرًا دون (هي) الدَّلالةُ على أنَّ كُلًّا من البنين والبنات سواءٌ في الخِلقة، إلا أنَّ المُتعارفَ بينهم جعْلُ البناتِ أقلَّ شأنًا من البنين، ومع ذلك نسبوهُنَّ للّه تعالى؛ تصويرًا للوقاحةِ وتعجيبًا بالصَّنيع واستخفافًا بالعُقول.

دلالةُ تقديمِ المُتعلَّق ﴿فِي ٱلْخِصَامِ﴾:

الحبسُ عن البيانِ وقتَ الاحتياجِ

قدَّمَ النَّظمُ المتعلَّقَ من الجارِّ والمجرور على مُتعلَّقِهِ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾؛ للدَّلالة على تحديدِ محلِّ عدمِ

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 14/ 114.

(2) الهرري، حدائق الرّوح والرّيحان: 26/ 205.

الإبانةِ وذلك عندَ طلبِ الإبانة؛ إذ حالةُ الجِدال وانتزاعِ الحقِّ والمطالبةِ بالحقوق يحتاجُ للإبانة والتَّعبير، وحينَها تصابُ البنتُ غالبًا بالحبسةِ، وتلجأُ للبكاءِ والصُّراخ، أو توردُ الحُجَّةَ عليها، وهي تظنُّها نافعةً لها، و﴿ٱلۡخِصَامِ﴾ مصدرٌ دالٌّ على المشاركةِ يُرادُ به شدَّةُ الخصومةِ واشتدادُ حالِها.

دلالةُ الجُملةِ الحاليَّة:

الولدُ إمّا للدِّفاع بالسِّلاح أو بالكلام

عبَّر النَّظمُ بالجملةِ الحاليَّة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٍ﴾؛ للدَّلالةِ على تقييدِ امتناعِ اتِّخاذِ البنات للّه تعالى بكونهنَّ في الخِصام لا يبنَّ عن مقاصدِهنَّ، والنَّظمُ بذلك يُحاجِجُهم على متعارفِهم للإقناعِ، فكيفَ يتَّخذُ البناتِ لنفسِه، وهُنَّ يُنَشَّأنَ على الحلية، ولا يُبِنَّ عن مقاصدِهنَّ في مواقفِ الخِصام والجِدال؛ إذ الولدُ إنَّما يُرادُ للدِّفاع عن أبيه، وهُنَّ يُنشَّأن على الحلية دونَ آلاتِ السِّلاح، أو ليُجادلَ عن أبيه، وهُنَّ لا يُبِنَّ عن مَقاصدِهنَّ عندَ الحديث.

دلالةُ ﴿غَيۡرُ﴾:

التَّغايُرُ التّامُّ بينَ البناتِ والإبانةِ

عبَّرَ النَّظمُ بلفظِ ﴿غَيۡرُ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٍ﴾؛ للدَّلالةِ على نفي الإبانةِ، وإنَّما اختارَ لفظ ﴿غَيۡرُ﴾ للنَّفي مع أنَّها موضوعةٌ للمغايرةِ؛ لبيانِ شدَّةِ النَّفي، فليست الإبانةُ منفيَّةً عن البنت فحسبُ، بل مغايرةٌ لها ذاتًا وصفة، ولا تجتمعُ معها في حالٍ من الأحوال، وكأنَّ الإبانة قد تحوَّلت إلى ذاتٍ، وصارَ بينها وبين البناتِ تغايرٌ تامٌّ، بخلافِ النَّفي الَّذي يدلُّ على عدمِ الإبانة في وقتٍ دونَ آخَرَ.

دلالةُ اسمِ الفاعلِ ﴿مُبِينٍ﴾:

الانفعالُ الشَّديدُ يُفقِدُ المرأةَ البيانَ والوُضوحَ

عبَّرَ النَّظمُ عن الإبانةِ باسم الفاعل ﴿مُبِينٍ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٍ﴾؛ للدَّلالةِ على انتفاءِ الإبانة على سبيلِ التَّجدُّدِ والاستمرار، أي: توجدُ عدمُ الإبانة عند الخصامِ الكلاميِّ

والجدالِ عن الحقوقِ أمامَ المُجادلين، وإن كانت مُبيِّنةً عندَ غيرِ الجدالِ والدِّفاع عن الوالدِ والعَشيرة والأهلِ، وأصلُ الإبانةِ الفصلُ بين الأشياء، ونفيُ الإبانة عنها، بمعنى: أنَّها لا تفصلُ بينَ أجزاءِ بَيانها وكلامِها، فلا يكونُ مفهومًا لما يعرضُ لها منَ الصُّراخ والبكاء عندَ الجدال، فلا يُفهَمُ بَيانُها.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والخمسون،
سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 53 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-644-66-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 53 : المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-644-66-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4811073 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"